



بسم الله الرحمن الرحيم
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (فرع تاسوسيم)
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



محاضرات في اللسانيات العامة

المستوى: الثانية ليسانس

الشعبة: دراسات لغوية

الموسم الجامعي: 2025 / 2026

المحاضرة الأولى: تاريخ التفكير اللغوي عند الهنود واليونان

1- تاريخ التفكير اللغوي عند الهنود

اهتم الهنود باللغة الخاصة فيهم اهتماماً بالغاً، مما أسهم في تطور الفكر اللساني عندهم وخاصة فيما يتعلق بالجال الصوتي، فعمل الهنود في أبحاثهم في الفكر اللساني على دراسة الكتب الدينية التي اهتمت بالكتاب المقدس الخاص بهم وهو كتاب "الفيدا"، إذ ظهر كتاب الفيدا حوالي عام 1200-1000 ق. م.

جدير بالذكر أن كتاب الفيدا كُتب باللغة السنسكريتية التي عُرِفَتْ قديماً بأنها لغة الدين والأدب عند الهنود، إذ حافظت هذه اللغة على أقدم الملاحم التي عُرِفَتْ عند الهنود، مثل: ملحمة "المها بها راتا" وملحمة "راما يانا"، ولم تكن اللغة السنسكريتية هي لغة الفكر اللساني فقط، بل كان إلى جانبها لغة "براكيت".

اهتم الهنود أيضاً بالعلاقة الاعتبارية بين عناصر الدليل اللغوي، بالإضافة إلى اهتمامهم بأهمية السياق ودراسة الحقيقة والجائر في الفكر اللساني، وعالج الهنود العديد من المشكلات التي طالت الفكر اللساني، مثل: مشكلة اللغة ومحاكاة الطبيعة والتواضع الاجتماعي، بالإضافة إلى تحديد دلالة الكلمة.

◆ علم النحو عند الهنود:

اهتم الهنود بعلم النحو في تاريخهم، ويُعد هذا العلم من أقدم العلوم لديهم، وتشتهر مقولة عندهم تقول: "أن الماء هو أقدس شيء على الأرض، والكتب المقدسة أكثر قداسة من الماء، ولكن النحو أكثر قداسة من الكتب المقدسة"، وعُرِفَ أن أشهر كتاب نحو عند الهنود هو كتاب "المثنى" لبانيه.

أما عن سبب تسمية كتاب "المثنى" بهذا الاسم؛ لأنه احتوى على 8 أجزاء، ويتضمن كل جزء قواعد نحوية، بلغ عددها 4000 قاعدة، وتعد هذه القواعد كنزاً ثميناً في تاريخ الفكر اللساني في علم النحو، ومن أهم الموضوعات التي تناولها بانيني في كتابه ما يأتي: الإبدال . مشكلات صوتية . اللواحق الأساسية . التصريف . قواعد الجنس والعدد .

◆ أعلام الفكر اللساني عند الهند:

برز العديد من الأعلام الذين عُرفوا في الفكر اللساني في الهند، وقدّموا إنجازات كبيرة في هذا القسم من العلوم، منهم الآتي:

ياسكا: يُعد ياسكا مؤسس علم الاشتقاق في الهند، ووضع العديد من الكتب منها: كتاب عرف باسم Nirukta أي التفسير، وكتاب Nigranthu أي المجموع المرتب، وهذه الكتب ليست معاجم، إنما هي شرح لكلمات باللغة السنسكريتية الهندية .

بانيني: عُرف بانيني بالذكاء والعبقريّة والريادة، فهو كاهن أعلام الفكر اللساني في الهند قبل ياسكا، وبانيني هو اسم العائلة وليست اسمه الحقيقي، إذ عُرف له اسمان هما: ahika, salanki، ونسبه يعود إلى بلدة تسمى Salaturiya، حيث ولد وعاش فيها، وهي بلدة موجودة في غرب الهند .

2- تاريخ الفكر اللساني عند اليونان

تبلور الفكر اللساني عند اليونان في القرن السادس ق.م، إذ اهتم اليونان بعلم النحو في الفكر اللساني اهتماماً كبيراً، وعُرف النحاة فنون الكتابة والكلام النحوي، بالإضافة إلى نظرية العقل والمنطق في النحو واللغة، وعدّوا النحو قسمًا من الفكر اللساني وجزءًا لا يتجزأ من الفلسفة .

◆ أعلام الفكر اللساني في اليونان:

من أعلام الفكر اللساني في اليونان ما يأتي:

أفلاطون: هو أول من تحدث عن النحو الإغريقي، وميّز بين الأفعال والأسماء في النحو، ودرس النحو الإغريقي والتداخل اللغوي، وتحدث أيضاً عن قواعد درس الافتراض اللغوي والتداخل اللغوي، كما درس أفلاطون العلاقة بين التداخل اللغوي وبين وجود أصل أجنبي للعديد من المفردات الإغريقية، وعمل على تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية .

أرسطو: كان أرسطو تلميذاً لدى أفلاطون، ومع ذلك فإنه خالف أستاذه في العديد من الأمور، مثل: النظرة الفلسفية وأصل اللغة وطبيعة اللغة، وعمل أرسطو على تقسيم الكلام إلى فعل واسم، وأضاف على ذلك السند السموي أو ما يُدعى بالرابطة.

أوجه المقارنة

الهند	الإغريق	
يبدأ من دراسة اللغة وتحليلها إلى عناصرها الأولية	يبدأ من الفلسفة ويطبق القواعد المنطقية على اللغة	المنهجية
الصوتيات والنحو والتحليل المنهجي للكلمات	المنطق وتقسيم الجمل إلى اسمية وفعلية	التركيز
اللغة السنسكريتية المقدسة	النصوص الأدبية والفلسفية	المصدر الأساسي

المحاضرة الثانية: تأريخ التفكير اللغوي عند العرب

لم يثبت عند العرب أنهم تناولوا أي نوع من الدراسات اللغوية قبل الإسلام، ولهذا فهم متأخرون عن كثير من الأمم التي تناولنا بعضها في هذه المطبوعة، وبدءنا لا يعيننا صحة تأثيرهم بغيرهم أو تأثيرهم فيمن جاء بعدهم فهذه المحاضرة كسابقتها لا تبحث في ذلك، وإنما تتعرض إلى الوصف فحسب ودون مقارنة، ومن أراد البحث في ذلك والتوسع فليعد إلى كتاب أحمد مختار عمر المعنون ب: "البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر" وتحديدًا "الباب الثالث" بفصليه الأول والثاني.

كانت اللغة التي يتكلمها عرب الجاهلية من يحتج بلغتهم خالية من اللحن، أما ما سمى لغة شاذة أو نادرة، وهو الحاصل في لغات القبائل التي كانت تجاور الأمم الأعجمية. أما الجمع عليه من القدامى أنه لا لحن في الجاهلية، فقد ظهر حينما اختلط العرب بالأنباط والفرس، ودخل الإسلام الأجانب، وذلك لا يكون إلا بعد ظهور الإسلام بقليل. وتذكر الكتب عددا من الأمثلة التي تفيد وقوع اللحن في السنة العامة، وأظهرها تسكين أو آخر الكلمة هربا من الإعراب. وما فتى أن تسرب اللحن إلى تلاوة القرآن ومس اللغة العربية إجمالا في ألفاظها فزبد فيها وحذف وقدم وأخر، وقلب وأبدل، وسُكِّن ما حقه التحريك وحرك ما حقه التسكين، كما مسها في جملها بالنحت فأصبحت الجمل العربية اختصارات لفظية، كما مسها من جهة صفاتها بأن أدخل فيها من اللفظ الأعجمي ما لم يكن قبل ذلك، مما أصبح عربيا بالاستعمال والخضوع لقواعد العربية في الجاهلية، وعمرور الزمن واتساع نطاق اللحن ظهرت العاميات، ونتيجة لهذا الخطر الداهم على اللغة الفصحى فكر أهل العربية الغيامري من علماء ومرجال الدولة في طلب حمايتها وصيانتها. إن صيانة العربية الفصحى من اللحن لم يكن إليه طريقة إلا تحديد المثال لها نرنا 150 سنة قبل البعثة و150 سنة

بعد البعثة، ومكاناً؛ فالذين نقلت عنهم العربية وأخذ اللسان منهم من بين قبائل العرب هم: قيس وقيم وأسدهم الذين أخذ عنهم أكثر العربية ومعظمه وغدوا المرجع في الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطالبين ولم يؤخذ من غيرهم من سائر القبائل. وأخذ العلماء اللغة من بيئة الاستعمال حتى أنهم أخذوها من لسان الصبية أو الأطفال أو النساء والعبيد والمجانين وعملية الأخذ تلك عبارة عن جمع المادة اللغوية من أفواه العرب الفصحاء، وذلك بالذهاب إليهم في بواديهم أو بليقيهم في الحواضر، ثم نقل ذلك للدارسين من الطلاب، وبحسب ما ورد في النصوص القديمة فإنها لم تبدأ قبل نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري. والعملية المذكورة سلفاً تسمى اصطلاحاً الرواية، ودفع إليها التفسير اللغوي للقرآن، والحديث وغربة والشعر والاعتزاز باللغة وصيانتها من اللحن، والتوسل بها من غير العرب إلى تبوأ مكانة مرموقة في المجتمع العربي، ومنها أخيراً الحاجة العلمية في ذاتها كوضع الضوابط النحوية. وقد مرت الرواية اللغوية بمراحل الأولى: مرحلة اللغويين إلى البادية التي يحتاج بلغة قبائلها، وسماعهم من قاطنيها، والإقامة بينهم مدة قد تطول وقد تقصر، ثم العودة إلى الحواضر (مواطن) الدرس) لعرض المادة في المجالس والمحلقات وإملائها على طلاب العلم وكانت البصرة ثم من بعدها الكوفة المدينتان اللتان لهما السبق في الرواية.

ومن اللغويين الأوائل الذين مرحلوا للبادية ونزلوا بين أهلها: ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ)، وتلميذه هو عيسى بن عمر (ت 149هـ) وأبو عمر بن العلاء (ت 154هـ)، وتلميذا عيسى الخليل بن أحمد (ت 170هـ) ويونس بن حبيب (ت 182هـ)، وتلميذ أبي عمرو بن العلاء أبو نريد الأنصاري (ت 215هـ) والنضر بن شميل (ت 203هـ)، وغيرهم من أصحاب المدرسة البصرية، والكسائي (ت 189هـ)، وتلميذه القراء (ت 207هـ)، أبو عمر الشيباني (ت 206هـ)، وابن الإعرابي (ت 231هـ)، وغيرهم من أصحاب المدرسة الكوفية. ومنهم من أخذ عن قبائل معينة لا يتعداها من ذكرناهم وهي القبائل الستة، ومنهم من توسع ولم يقصرها على المذكور.

وأثناء مرحلة العلماء لمشاهدة الإعراب في البادية، كانت هناك مرحلة معاكسة في الاتجاه كان يقوم بها الإعراب الفصحاء من باديتهم إلى الحواضر العلمية وعلى رأسها البصرة والكوفة ومنها بغداد، وقد سمع منهم العلماء وتنافسوا في الأخذ عنهم في مرقد البصرة والكناسة والكوفة وغيرها من الأمكنة. ومنهج القدامى بين أصحاب الاتجاهين الراوي الحضر والراوي الدارس إن اللغوي أي الراوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، أما النحوي أي الدارس فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه، وهما في ذلك أشبه بالحدث والفقيه فالأول عمله ينحصر في نقل الحديث وضبط صورته كما روي، أما الثاني أي الفقيه فينقله ويتصرف فيه، ويبسط فيه العلل، ويقيس عليه الأشباه والأمثال من المحادث والأوضاع.

وعلى الرغم من الطابع الوصفي العلمي الذي وسم المحاولات الأولى من الدرس اللغوي مثلاً في الرواية أو جمع اللغة من أعراب البادية ومشافهتهم. يبدو أن الأغراض على خلاف الفعل اتجهت نحو خدمة الدين والعقيدة الإسلامية. ومن

الطبيعي أن يكون البحث اللغوي عند العرب بدأ في المادة اللغوية (متن اللغة) بطريق المشافهة والحفظ ولكن دون منهج معين في ترتيب المادة شكل جمع المجموعة أو تبويبها، فلا مرتحال اللغوي الشفاهي للأعراب لم يكن يسمح لهم (العلماء) بالثبوت والتدوين والتبويب في الوقت ذاته، فضلا عن ذلك أن التبويب والتصنيف يقتضي الانتهاء من العمل الأول بشكل شبه كامل وإلا لما صح القيام بترتيب المادة وتنظيمها وفق أسس معينة. وبعد أن قرأهم ذلك (جمع المادة) اتجه أهل اللغة إلى تبويب تلك المادة وتصنيفها وتقسيمها كل بطريقة الخاصة، فهناك من صنفها إلى موضوعات مثل النبات والشجر والإبل والحيل والأنواء ووسمها بلفظ الرسائل إذ كل رسالة تتضمن موضوعا عن منفصلا عن موضوع بقية الرسائل، وهناك من اتجه للشعر الجاهلي أو الإسلامي يدونه ويرويه ويشرح مفرداته الصعبة وهناك من اهتم بتسجيل بعض الظواهر التي لاحظها في بعض القبائل. وهكذا إلى أن تحتم ذلك بظهور المعاجم اللغوية المنظمة، والتي يعد معجم "العين" للخليل بن أحمد (ت 170هـ) فاتحتها.

ومما لا شك فيه أن البحث النحوي بدأ متأخرا عن جمع اللغة، ذلك أنه لا يمكن للنحوي أن يعقد القواعد ويصنفها ويستنبط الأسس والنظريات التي تحكمها دون مادة موضوعة أمامه ثم جمعها قبل ذلك بالفعل واللافت للنظر أن الدراسات اللغوية عموما والمشهور منها كاللغة والنحو والصرف من الدراسات التي اختلطت فيما بينها وأيضا مع غيرها، منذ نشأتها إلى غاية أن استقل كل علم بمصنف يشمله دون غيره، وكان اللغويون الأوائل ممن جمع عددا من العلوم وتبغوا فيها على السواء. فترى أحدهم عارفا بالغرب والشعر والتفسير كابن عباس في "غريب القرآن" . . . وترى عيسى بن عمر (ت 149هـ) من النحاة والقراء المعروفين وكان أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ) من القراء السبعة، ومن عوا بالغرب واللغات والشعر والرواية إلى جانب عنايته بالنحو وأن قل. وتجدهم الخليل بن أحمد (ت 170هـ) من المهتمين بالرواية والمشافهة وصناعة للمعجمات، والنحو والتصريف، ونشأ على يديه علم العروض، وينسب له تشكيل القرآن بالحركات قبل ذلك . . . إلخ.

1- تطور الخط العربي: في هذه الجزئية لا يعنينا أصل الكتابة العربية ولا يعنينا ما لحقها من تبدل في جسم حروفها، وإنما بالدلالة والنحو من جهة، والنطق الصحيح للألفاظ على مستوى الحركات والسكون من جهة ثانية، والأصوات (فونيمات) من جهة ثالثة.

مرأى بعض المسلمين أن القرآن على ما هو عليه في الصحف من غياب العلامات الإعراب والشكل أثره في احتمال شيوخ اللحن فيه، ومن ثمة تغيير دلالاته ومعانيه. فتصدى نزياد بن أبيه (ت 53هـ) وكان يومئذ واليا على العراق بأن طلب من أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) أن يعمل على ضبط القرآن صوتا له من الغلط، فوضع ما يسمى بنقط الإعراب، واتخذ لذلك كتابا فطنا من بني عبد القيس، وقال له: إذا رأيته قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، وإن ضمنت شفني فانقط نقطه بين يدي الحرف، وإن كسرتها فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن تبع ذلك غنة فاجعل مكان النقطة الواحدة نقطتين

وابتدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى على آخره، وكان كاتبه يضع نقط الإعراب بلون يخالف لون المداد الذي كتبت به الآيات. وهذه العملية تسمى "رسم العربية".

وبعد أن أصبحت نقط الإعراب واقعا في قراءة المصحف، برزت مشكلة جديدة تتعلق على وجه الخصوص بغير العرب عندما يرغبون في قراءة المصحف، وهي مشكلة التمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم الخطي، فضلا عن كون التليقة لم تعد موجودة عند العربي في تمييزه التلقائي بين الحروف المعجمة والمهملة، فتصدي هذه المشكلة الحجاج بن يوسف الثقفي (ت 95هـ) وكان يومها واليا على العراق، فندب للأمر على خلاف في الروايات نصر بن عاصم الليثي (ت 89هـ)، وهو أحد تلامذة أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ). فوضع نقطا جديدة تميز بها بين الأحرف المتشابهة في الرسم، جامعا لكل مجموعة بشكل الرسم فيها ثم أخذ في نقط بعضها من فوق وأخرى من تحت وجعل لبعضها نقطة واحدة وأخرى نقطتين ولغيرها ثلاثة، وأبقى واحدا من كل مجموعة على حسب الأصل مهما دون النقطة، حتى استكمل عمله وهو معروف اليوم، ونسبي هذا النقط نقط الإعجام.

ويمثل صنيع الخليل بن أحمد (ت 170هـ) المرحلة الثالثة، حيث عمل على تطوير نقط أبي الأسود (ت 69هـ)، وذلك بتغييرها من نقاط إلى خطوط صغيرة أكثر دلالة على الإعراب، فجعل للفتح "ألفا" مائلة فوق الحرف وللضم "واو" صغيرة فوق الحرف أيضا والكسر "ياء" صغيرة تحت الحرف، وللتشديد "شينا" صغيرة، وللتنخيف "خاء" صغيرة، وفراد على ذلك بأن وضع علامات الهمز والنوم والإتمام.

2- النحو عند العرب:

حري بنا قبل الحديث في النحو العربي ونحاته أن ننظر في مناهج اللغويين العرب في دراستهم للغة. لقد كان البصريون أسبق من الكوفيين في استقراء اللغة وطلب جمعها والنزول بين أهلها من القبائل، غير أنهم اختلفوا في تحديد القبائل التي تؤخذ من لهجاتها اللغة. فذهب البصريون إلى شرط الانعزال أي أن تكون القبائل من وسط الجزيرة العربية وهي القبائل السنة المذكورة سلفا، لأنها بعيدة عن أطراف الجزيرة ومخالطة الأمم الأعجمية التي من شأنها أن تفسد كلام العربي الفصيح. وذهب الكوفيون إلى أن العربية هي لسان العرب، فكل قبيلة تكلمت بالعربية سواء أكانت وسط الجزيرة العربية أم على أطرافها يصح الأخذ بلهجتها، وأن ما قيل عن فساد ألسنتها بالمخالطة فمحض افتراض.

وساد بين اللغويين والنحاة أداتان وهما السماع والقياس، أما السماع فهو الأخذ للمباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها، ولفظ المباشرة هو ما يفرق السماع عن الرواية ذلك أن هذه الأخيرة تتوسط فيها نص أو صوت بين الراوي السامع والمروي عنه، وعليه الرواية عامة والسماع خاص، وأما القياس بحسب الاصطلاح تقدير الفرع بحكم الأصل ولا بد له من أربعة أركان أصل وفرع وعلا وحكم، ويعد القياس من الأسس المنهجية في دراسة اللغة، وقد أخذ به كل اللغويين على اختلاف مذاهبهم بصريون وكوفيون، وإن اختلفوا في نسبة توظيفه، وكان البصريون أكثر من غيرهم أخذا به،

وكان عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ) أول من أسس القياس واستخدمه في اللغة، والقياس في أول أمره عند الأوائل من مستخدميه يقوم على السماع والرواية.

أما المادة اللغوية وتحديد ما يسمي بالشواهد فموقفهم منها بحسب طبيعتها. إن القرآن عند اللغويين جميعا يمثل أعلى الشواهد مرتبة وما تعلق به من قراءات ففي البدء وحينما كان بعض اللغويين من القراء عدت كل القراءات باختلافها حجة دون مفاضلة، والقاعدة تؤخذ منها، ولكن البصريين منذ سيبويه (ت 180هـ) حاولوا إخضاع تلك القراءات لقواعدهم وأقيستهم حتى أنهم وصفوا ما خالف ذلك بالشذوذ، والبصريون بهذا لم يخالفوا الكوفيين فحسب وإنما أيضا عددا من القراء. أما الكوفيون فهم على خلاف ذلك فقد أخذوا بكل القراءات، ومنطلقهم كان بناء على عدم التعارض مع أسهم المنهجية في دراسة اللغة، فهم يرجحون السماع والرواية حين يصطدمان بالقاعدة المقيسة. وكان موقفهم من الحديث الشريف أشبه بموقفهم من الاستشهاد بالقراءات، مع العلم أن اللغويين الأوائل بصريين وكوفيين على السواء لم يستشهدوا بالحديث الشريف وبعد ذلك ظهر أن البصريين على وجه الخصوص مرفضوا شاهد الحديث في اللغة لسببين: الأول: أن الكثير من الأحاديث مروية بالمعنى دون اللفظ والثاني: أن الكثير من رواياتها (الأحاديث) كانوا من الأعجم، فوقع اللحن فيما مرووه، وكان موقفهم من الشعر كموقفهم من مصادر اللغة الأخرى إلى حد بعيد. واشترطوا فيه ليكون في منزلة الشاهد: التقدم في العصر، البداوة وعلم قائله بالعربية، وبصحة نسبته إليه، وعليه قسم اللغويون الشعراء إلى طبقات:

الطبقة الأولى: الجاهليون: أمثال امرئ القيس وزهير والنابعة.

الطبقة الثانية: المخضرمون أمثال حسان بن ثابت وكعب بن زهير، والحطيئة.

الطبقة الثالثة: الإسلاميون: أمثال الفرزدق وجربير والأخطل وذو الرمة.

وكان من أسهم المنهجية التقدير والتأويل، وكان في النحو أظهر منه في اللغة، وقولهم بذلك نابع من اعتبار وجود شكل أو صيغة مثال، بحيث متى وردت ناقصة أو دون مثالها تم تقدير محذوفها وتأويل معناها، كما كان اعتقادهم بسببية التغير والبدل عاملا في الاعتقاد بوجود العامل، وحتى العامل في منع العامل كقولهم يطل عمل إن وأخواتها حين تفتقرن بمن (ما) الحرفية، كما اعتمدوا التعليل وتوسعوا في ذكر العلل إلى حد التفلسف دون الأخذ بعين الاعتبار أن اللغة وقائع تصح بالإثبات المادي لا بالنظر والعقل، وخاصة عند المتأخرين حيث أن الدراسات اللغوية جميعها أصبحت مسيجة بما ترجم من علوم اليونان في القرن الرابع الهجري.

وبعد هذه التوطئة العامة التي تغني عن قول الكثير بعد هذا ما من شك أن كتاب "الكتاب" لسيبويه من أعظم ما ألف في النحو العربي، ولا شك أنه ينسب إليه وليس في ذلك خلاف، وعظمته ناشئة من كونه استغرق كل اللغة بقواعده، فليس النحو عنده باب من أبوابه ولا فصل من فصوله أو رسالة من رسائله، كما أنه لم يترك لمن جاء بعده أن يزيد

عليه أوله، بل انتهى ما استطاعوا فعله بيانه وشرحه، وما من شك عند الكثير من اللغويين أن ما يوجد في "الكتاب". مجموع الآراء النحوية المعاصرة له، والسابقة، ولعل ذكر التحليل بصريح اللفظ دليل في ذلك. كما أنه ليس من المعقول أن يولد الأثر كاملاً دون افتراض ما جعله كذلك. كما أنه من المناسب الإشارة إلى أن كتاب "الكتاب" لم يكن في النحو متمحضاً، وإنما شمل إلى جانب ذلك الصرف والأصوات، وبعد ذلك صار نخاة البصرة والكوفة جنباً إلى جنب وتنافساً في البحث، وأصبح لكل فرقة مدرسة ينسب إليها، ويؤلف في إطار مبادئها. فمن نخاة البصرة نجد الأخفش الأوسط سعيد بن نخاة مسعدة (ت 215هـ)، وقطرب (ت 206هـ)، والمانزني (ت 249هـ)، والميرد (ت 285هـ)، ومن الكوفة تجد الكسائي (ت 189هـ)، والقراء (ت 207هـ)، وثعلب (ت 291هـ)، وابن السكيت (ت 244هـ). وظهر بعد هذه الفترة علماء لم يتعصبوا أو يميلوا إلى إحدى المدرستين ضمن ما يسمى المدرسة البغدادية. وهي مدرسة قامت على الترجيح بين آراء البصريين والكوفيين، ومن أشهر علماء هذه المرحلة حتى نهاية القرن الرابع: الزجاج (ت 310هـ)، وابن السراج (ت 316هـ)، والزجاجي (ت 337هـ)، والأخفش الصغير علي بن سليمان (ت 315هـ)، وابن ولد (ت 332هـ)، وأبو جعفر النحاس (ت 338هـ)، وأبو سعيد السيرايفي (ت 368هـ)، وأبو علي الفارسي (ت 377هـ)، وأبو الحسن الرماني (ت 384هـ)، والنريدي (ت 379هـ)، وبعد القرن الثالث ظهرت إلى جانب المدرسة البغدادية مدارس نحوية أخرى في مصر والمغرب والأندلس.

وأميز ما به توصف كل المدارس المذكورة سلفاً أنها مدارس عاملية أي تقوم تقديراتها وتأويلاتها وتعليقاتها على ما يسمى العامل. فجاء ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ) الذي ينتمي إقليمياً إلى مدرسة الأندلس بكتاب صغير الحجم جليل الأهمية عنوانه "كتاب الرد على النخاة" وغرضه من اسمه يكفيه فهو نقد وهدم لمرتكزات كل النخاة بغض النظر عن مدارسهم وقيمتهم المعرفية في التخصص. والواضح من مضمون الكتاب أنه لا يعترف بوجود العامل أو بوجود المؤثر الفعلي لفظاً أو معنى في التغيرات التي تطرأ على الحركات الإعرابية للكلمات ضمن الجمل وكونه من أنصار ابن حزم الظاهري مرفض أيضاً الإضمار والتقدير، والمقياس النحوي.

3- علم الأصوات عند العرب:

يظهر أن علماء العربية الأوائل من اللغويين والنخاة لم تكن الدراسة الصوتية عندهم مستقلة. فقد ظهرت عند النخاة محتاطة بالنحو والصرف، فهذا سيويه تجد عاج "الإدغام" في نهاية "الكتاب" وكذلك فعل المبرد (ت 285هـ) في كتابه "المقتضب".

وفي الإطار ذاته عاج أصحاب المعاجم الأصوات أو بعض المشكلات الصوتية في مقدمة معاجمهم، أو في ثنايا المادة اللغوية. والظاهر أن للدراسة الصوتية هنا علاقة بطريقة ترتيب المادة اللغوية (المداخل المعجمية) صوتياً أو بحسب

مخارج الحروف كما فعل الخليل بن أحمد (ت 170هـ) في معجم "العين".

وأسهم علماء التجويد بقدر لا يُجحد في هذا المجال، ويكفي أن اسم العلم يقوم أساساً على التصويت، كما أسهم العلماء للمهتمين بالقراءات القرآنية في ذلك الأمر لكون بعض أوجه القراءة لها صلة بمخارج الحروف أو صفاته.

وأدلى أصحاب التأليف في إعجاز القرآن والبلاغة بدلوهم في البحث في القضايا الصوتية تلك التي لها علاقة بأغراضهم من التأليف كتناثر الحروف وتألفها، واستتبع ذلك من الحديث حول المخارج والمداخل لكونها من أسباب المذكور من التأليف والتناثر الصوتي كالرمانى (ت 384هـ) في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" وابن سنان الحفاجي (ت 466هـ) في كتابه "سر الفصاحة" وأبي بكر الباقلاني (ت 403هـ) في كتابه المشهور "إعجاز القرآن".

وشارك أصحاب الموسوعات الأدبية في إغناء الدرس الصوتي لكن دائماً ضمن مباحث أخرى لا صلة لها بالمستوى الصوتي، وأبرزهم الجاحظ (ت 255هـ) في كتابه "البيان والتبيين" وتحديداً في تناوله الأسباب المختلفة لعيوب النطق ونسج الكلمة العربية.

أما أول من أفرد الدراسة الصوتية بكتاب مستقل فهو ابن جني (ت 392هـ) سماه "سر صناعة الإعراب". وتناول فيه حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها، كما تناول صفات الأصوات في أقسام وباعتبارات مختلفة، كما عرض للصوت في داخل الكلمة وما يطرأ عليه من تغيير يؤدي به إلى الإعلال أو الإبدال أو النقل أو الحذف، كما لم يغفل علاقة تألف الحروف وعلاقتها بفصاحة اللفظ المفرد. ويعد ابن جني (ت 392هـ) إلى جانب كونه صاحب التأليف المستقل أنه أول من استعمل مصطلح "علم الأصوات" للدلالة على هذا الحقل المعرفي في الدراسة اللغوية، فضلاً عن كونه أول من أشبع هذا الحقل دراسة وبعد.

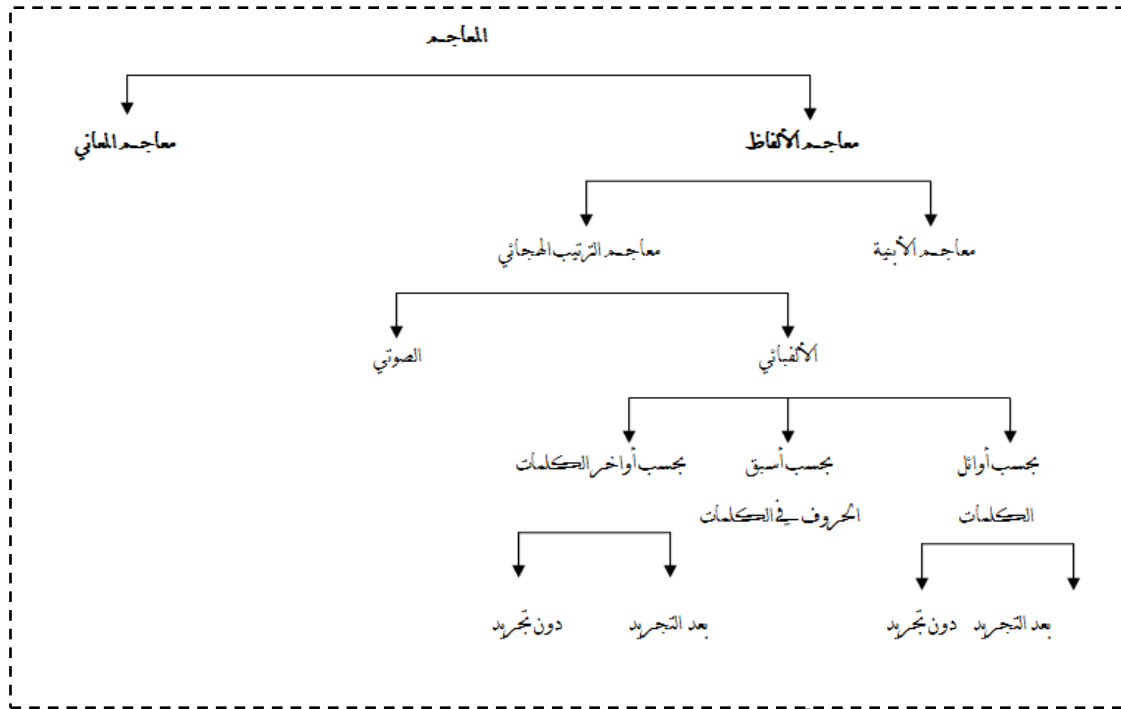
وفي إطار التمييز الذي طبع هذا اللون من الدراسة عند العرب القدامى لا يفوتنا أن نذكر الطبيب الفيلسوف ابن سينا (ت 428هـ) الذي قدم رسالة في علم الأصوات بعنوان "أسباب حدوث الحروف"، والظاهر من خلال فصولها أو مباحثها أنها فريدة لكونها عبارة عن دراسة عضوية وتشريحية، عضوية لكونه وصف فيها العملية العضوية في إنتاج كل حرف من حروف العربية وصفاً مفصلاً ودقيقاً، وتشريعية لكونه خصص فاصلاً في تشرح الحنجرة واللسان، كما أنه من أسباب فرادتها أنها تناولت (الرسالة) الأصوات فيزيائياً، وذلك في الإشارة إلى كيفية إنتاج تلك الأصوات اللغوية بحركات عضوية أو حركات جسمانية من غير أعضاء الجهاز النطقي أو من غير أعضاء جسم الإنسان.

4- المعجم عند العرب :

مما لا شك أن الرسائل أو الكتب ذات الموضوع الواحد أو بعبارة أخرى ذات الحقل الدلالي الواحد سبق ظهورها المعجمات بنوعيتها . وبعد معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) أول معجم عربي، وهو من نوع معجمات الألفاظ وللإشارة فحسب أنه لم يطلق على المعجم اسم المعجم إلا في أواخر القرن الرابع الهجري، أما قبل ذلك فهو كتاب . وكان منهج الخليل يتفق وهدفه من وضعه (المعجم)، فضبط اللغة وحصرها جعله يتبع خطوات علمية مدروسة، بدأها بترتيب الحروف بحسب مخرجها من أقصى الحلق إلى الشفتين، ثم بتقسيم الأبنية بعد أن وجد أن كلام العرب مبني على أربعة أصناف على الثنائي والثلاثي والرابعي والخماسي، ثم قسمها إلى صحيح ومعتل، وفرق بينهما في كل بناء، وأخيرا اهتدى إلى تقليب اللفظة على الأوجه الممكنة لها وليس هناك من طريقة تستغرق كل ألفاظ اللغة كطريقة التقليب الخليلية، فهي إلى جانب أنها تعرفنا بكل الصيغ المستعملة تعرضنا بالصيغ للمهملة، ولقد اكتفى الخليل بشرح وتعريف ما استعمل وأهمل ما أهمل .

إن الاكتفاء بذكر الخليل بن أحمد فقط في هذا النوع من التأليف (معجمات الألفاظ) للإفادة الشبق على غيره، فمن هم بعده غيروا في طرق الترتيب . أما الاختلاف البين في فكرة الترتيب عن تأصيل الخليل فهو الوارد بما تسمى معجمات المعاني وفكرة هذا النوع (فكرة) من المعاجم الذي ألفاظ بحسب حقولها الدلالية كانت أسبق في الوجود أو معاصرة للنوع الأول (معجمات الألفاظ)، غير أنها كانت عبارة عن كتيبات صغيرة وتشتمل على موضوع واحد فقط . أما أول معجم معاني كان أوفى وأشمل من غيره في مجاله وفي تأريخ اللغة العربية فهو المخصص لابن سيده (ت 458هـ)، وكفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأجدابي (من علماء القرن الخامس الهجري)، وكان على خلافه في الطول . وقبلهما كتاب فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي (ت 429هـ) . وإن كان الإطلاق يصح على جزئه الأول وهو الأكبر حجما .

ويليق أن نختتم هذا العنوان بمخطط توضيحي لأنواع المعاجم وطرق ترتيبها كما وردت عند أحمد مختار عمر في كتابه البحث اللغوي عند العرب صفحة 177 .



5- اللغة والدلالة في مؤلفات أصول الفقه:

ما من شك أن مؤلفات علماء أصول الفقه مليئة بالموضوعات ذات الصلة بعلوم اللغة بوجه عام والدلالة بوجه خاص، والعلماء في ذاتهم يحرصون على ذكر تلك العلاقة وأهميتها في مجال بحثهم. وترد القضايا اللغوية كمقدمات ضرورية في الدراسة الأصولية كما ترد ومغفلة الإشارة ضمن المتن كأدوات بحث وتحليل للنصوص التشريعية فنادرًا لم يخلو كتاب من إغفال بعضها لضرورة منهجية أو تعليمية، أما أن يخلو منها تمامًا فذلك لا يجعل من العلم أصول فقه على الإطلاق، ومن بين الموضوعات اللغوية مباحث نشأة اللغة والوضع اللغوي، والمشتك والتضاد والترادف، والحقيقة والمجانر وأنواع الكلمة من فعل واسم وحرف ودلالة العام والخاص والعموم والتخصيص، ودلالة الإطلاق والتقييد، والجمل، والبيان والمدن والمنتين، والأمر والنهي والخير... ومن الدراسات الحديثة ما يفيد ذلك كما أفادته للمتون في ذاتها.

❖ مدخل اصطلاحي حول اللسانيات الحديثة:

ظهر مصطلح "اللسانيات" (Linguistics/Linguistique) أول ما ظهر في ألمانيا، ثم استعمل في فرنسا ابتداء من عام 1926م، ثم في إنجلترا ابتداء من عام 1955م، فواضح أن اللسانيات علم انبثق عن الحوض المعرفي الغربي، واتخذ مكانًا ضمنه، ولمّا كان من سيمات العلوم الانتشار، فقد سعت اللسانيات إلى التنزّل ضمن أحواض معرفية أخرى، ومن هذه الأحواض: الحوض المعرفي العربي.

• مصطلح اللسانيات في الثقافة اللغوية العربية:

إنَّ أوَّل مصطلح استعمل مقابلاً للمصطلح "Linguistique" الفرنسي في أغلب التصانيف والمؤلفات العربية هو مصطلح "علم اللغة"، إذ جعله الدكتور "علي عبد الواحد" وايفي عنواناً لكتابه عام 1941م، وقد ظلَّ هذا المصطلح مستعملاً إلى اليوم في كثير من المؤلفات العربية.

وقد اختار مجموعة من الدارسين مصطلحي "فقه اللغة" و"علم اللغة" مقابلين للمصطلح الأجنبي Linguistique، ونراوجوا بينهما في مجوَّههم. يقول "محمد الأنطاكي" في كتابه "الوجيز في فقه اللغة": «إنَّ فقه اللغة أو علم اللغة هو المقابل للمصطلح الغربي Linguistique».

أمَّا "تمام حسَّان" فإنَّه يعتمد في كتبه على مصطلح "علم اللغة" للدلالة على اللسانيات، ويشير الدكتور "كمال بشر" إلى أنَّ المصطلح الذي يجب إطلاقه على الدرس اللغوي في عمومته هو "علم اللغة"، وإلى نظير ذلك يذهب الدكتور "فهمي حجانري" إذ يدعو إلى استخدام تسمية موحَّدة واضحة هي "علم اللغة"، ويررر "حجانري" هذا الاستعمال بقوله: «هكذا استخدم المؤلفون العرب قبل العصر الحديث مصطلحات فقه اللغة وعلم اللغة ومتن اللغة».

إضافة إلى وجود سببين آخرين اعتمدا عليهما الدارسون العرب في اختيار مصطلح "علم اللغة" للدلالة على المصطلح الغربي Linguistique هما: التعبير الدقيق لمصطلح "علم اللغة" عن مدلول المصطلح الغربي Linguistique، ذلك أنَّ كثيراً من اللغويين الغربيين عرّفوا اللسانيات على أنَّها: «الدراسة العلمية للغة»، أمَّا السبب الثاني فهو كون هذا المصطلح (علم اللغة) ترجمة حرفية لعبارة science du langage التي اتخذها بعض اللغويون الغربيون جنيساً لمصطلح Linguistique.

إلى جانب مصطلح علم اللغة ظهرت تسميات ومصطلحات أخرى من ذلك "علم اللسان"، وقد ظهر هذا المصطلح للمرّة الأولى في ترجمة الدكتور "محمد مندور" للبحث اللساني الفرنسي "أنطوان ماويه" الموسوم بـ: "Linguistique"، حيث ترجمه بعلم اللسان، وقد ظهر أيضاً في ترجمة الدكتور "محمد مندور" في كتاب "منهج البحث في الأدب واللغة" عام 1946م.

أمَّا مصطلح "الألسنيّة" فقد ظهر أوّل مرّة في تونس، وقد استعمله "صالح القرماضي" للتعبير عن علم اللهجات، ثمَّ اطرّد استعمالها وصارت تضمّ مختلف المباحث المتعلقة باللسانيات، وظهر في المغرب الأقصى مصطلح "لسانيات" ومرجعه إلى مادة "اللُّسَنُ"، وهو الكلام واللغة، ومن هذه المادة اللغوية انبثق المصطلح الأكثر تجرّداً والأوسع انتشاراً وهو لفظ اللسانيات.

في ديسمبر من عام 1978م نظم مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية أوّل ندوة عربية في هذا الاختصاص، حضر إليها علماء اللسانيات من المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والعراق

والكويت وسوريا، وكان أول مكتسبات الندوة أن اتفق الجميع على تكريس لفظ: اللسانيات اسماً لهذا العلم، وهكذا كتب لهذا العلم أن يتوحد أبناء اللغة العربية على مصطلح له، بعد أن توترت سبل الاستعمال، وصاغ له الصائغون من المصطلحات ما يربو عن العشرين هذا كشفها:

Linguistique، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، علم اللغة العام الحديث، علم فقه اللغة، علم اللغات، علم اللغات العام، علم اللغويات الحديث، اللغويات الجديدة، اللغويات، الدراسات اللغوية الحديثة، الدراسات اللغوية المعاصرة، علوم اللغة، النظر اللغوي الحديث، علم اللسان، علم اللسان البشري، علم اللسان، الألسنية، الألسنيات، اللسانيات، اللسانيات.

المحاضرة الثالثة: مفاهيم عامة (اللسانيات: العلم، الموضوع، والمنهج)
أولاً: العلم

اللسانيات (علم اللغة): Linguistique/ Linguistics

هي الدراسة الوصفية والعلمية والموضوعية للغة البشرية

تحليل التعريف:

1. الوصفية: نسبة إلى المنهج الوصفي الاستقرائي الساكن (الثابت)، والذي طرحه "دي سوسير" مطلع القرن العشرين، وجاء به بدلاً وعوضاً عن المنهج التاريخي الذي ساد القرن التاسع عشر، فإذا كان المنهج التاريخي يدرس اللغة دراسة تعاينية تطورية، فإن المنهج الوصفي يدرس اللغة دراسة آنية ثابتة في فترة زمنية محددة وفي مكان محدد، يدرسها ويصفها كما هي موجودة في الواقع لا كما يجب أن تكون بعيد عن الأهواء والميولات الذاتية، ودون اعتبار للخطأ والصواب فيها.

2. العلمية: نسبة إلى العلم^(*)، بمعنى البحث أو الدراسة التي تستخدم الأسلوب العلمي القائم على المقاييس التالية: ملاحظة الظاهرة والتجريب والاستقراء، الاستدلال العقلي والعمليات الافتراضية والاستنتاجية.

3. الموضوعية: ومعناها يتوجب على اللغوي/ اللساني أن يركز اهتمامه أثناء الدراسة على الظاهرة اللغوية كما هي موجودة في الواقع لا كما يجب أن تكون، بعيداً عن العواطف الشخصية والأحاسيس الذاتية.

4. اللغة البشرية: أي اللغة الإنسانية التي يتعامل بها بني البشر قصد التواصل والتفاهم، وهذا المصطلح يحيل بأن اللسانيات علم عام وكلي، يشمل جميع اللغات الإنسانية دون استثناء؛ الفصحى منها واللهجات العاميات، ... الخ.

(*)- العلم هو حصيل أبحاث ظاهرة ما موجودة في العالم الخارجي، وهو مجموعة القوانين الثابتة التي تفسر كيفية اشتغال هذه الظاهرة.

ثانياً: الموضوع:

يقول "فرديناند دي سوسير" (*) في محاضراته محدداً موضوع اللسانيات قائلاً: «إنّ موضوع علم اللسان الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها» .

وهذا ما يعرف بـ: مبدأ الحاشية (دراسة اللغة في ذاتها/ ومن أجل ذاتها)

حيث جاء به "دي سوسير" كمرّد فعل عمّا كان سائداً في الدراسات التاريخية والمقارنة خلال القرن 19م، والتي كانت تستخدم اللغة وسيلة وليست غاية، ولأجل ذلك طرح "دي سوسير" مطلع القرن 20م هذا البديل، الذي يستخدم اللغة وسيلة أثناء الدراسة من أجل الوصول إلى جملة أو مجموعة الخصائص اللغوية التي تميّز اللغة . فما هو مفهوم اللغة ؟ اللغة هي النظام القاعدي الموجود بالقوة في أذهان كل فرد من الأفراد، وهي الملكة الإنسانية المتمثلة في القدرات التي يمتلكها الإنسان، والتي تميّزه عن سائر المخلوقات الأخرى، أو هي مجموعة من التواضعات اللازمة والملمحة

(*) - فرديناند دي سوسير "Ferdinand de saussure"

ولد "فرديناند دي سوسير" في جنيف السويسرية يوم 26 نوفمبر عام 1857م، وتوفى في 22 فيفري من عام 1913م، عالم لغوي سويسري، ارتبط اسمه بميلاد علم اللغة العام، رغم أنّ القسم الأكبر من أعماله لم يصل إلينا، ولا نعرف عليه إلا أشياء عامة، والذي وصلنا هو كلّ ما استطاع تلاميذه نقله وتسجيله على شكل نقاط أثناء إلقاء أستاذهم لمحاضرات حول علم اللغة العام، والتي كانت في ثلاث حلقات ألقاها ما بين (1906م - 1911م). وقد نُشر كتابه لأول مرة "محاضرات في اللسانيات العامة = Cours de linguistique général" عام 1916م، أي بعد وفاته بثلاث سنوات، ومع أنّ الظروف التي ظهر فيها الكتاب لم تكن ملائمة بسبب الحرب العالمية الأولى، إلا أنّ الكتاب لقي اهتماماً كبيراً وانتشاراً واسعاً، وعُدّ هذا الكتاب المرجعي: الكتاب الأمّ الذي أحدث ثورة علمية في العلوم الإنسانية، وفتح الباب أمام علمنة الظاهرة اللغوية، التي كانت تتصف من قبل بالذاتية والتخمين والتأمل العقلي البعيد عن الموضوعية.

اشتهر "دي سوسير" كما أسلفنا بكتاب لم يكتبه، لأنّه في أصله عبارة عن ملاحظات ونقاط سجلها بعض الطلبة، وتولّى اثنان منهما وهما: صاحب الأسلوبية التعبيرية "شارل بالي"، والثاني هو "ألير سيكاهاي" بجمعها، وطبعاً فالكتاب يحوي على الشيء الكثير من كلام "دي سوسير"، رغم النقاشات الكثيرة التي ظهرت أوّل الأمر، لمحاولة فصل ما هو له وما هو لطلّبه، كانت تلك النقاشات محطّ اهتمام كثير من علماء اللغة في أوروبا، خاصّة وأنّ ما يعرف باللسانيات البنوية يرجع في أصله إلى هذا الكتاب، ولعلّ هذا الجدل ناتج أساساً عن كون "دي سوسير" لم يكن يهتمّ فقط بعلم اللغة العام، فربّما كان هذا آخر ما يمكن أن ينسب إليه من الاختصاصات المتعدّدة التي كان يشتغل فيها، فقد كان شديد الاهتمام باللغات الهندو أوروبية وخاصة السنسكريتية، كما كان مهتمّاً باللغة والأدب الألمانيين، وهو مؤلّف كتاب شديد الأهميّة حول الحركات "Les voyelles" نشره عام 1890م، وهو أيضاً أستاذ النحو المقارن بجامعة الصربون، وبالرغم من هذا التعدّد البحثي، إلا أنّ ما هو متفق حوله عند جميع الدارسين هو أنّ: "دي سوسير" هو الأب الحقيقي لللسانيات، لأنّه وضّح اختصاصها ومنهجها، وأثرى الدراسات الإنسانية بكثير من الأفكار اللغوية الرائدة، حتى صارت اللسانيات باعتبارها نهضة علمية تولّد منها كثير من العلوم، كما اتّجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية، باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، وكانت اللغات تُدرس دراسة تاريخية ديانكرونية، وقد كان السبب في هذا التحوّل الخطير والجدري في دراسة اللغة: اكتشاف اللغة السنسكريتية.

و"دي سوسير" كان هو أوّل من عدّ اللسانيات فرعاً خاصاً من علم شامل هو: السيميائيات، أو ما يعرف بـ: علم العلامات/ علم الإشارات/

السيميولوجيا...

ملاحظة: تُرجم كتاب "فرديناند دي سوسير" إلى ثلاثين لغة عالمية عبر كلّ القارات والثقافات، منها اللغة العربية التي تُرجم إليها خمس مرّات هي:

- 1 - الترجمة التونسية: عام 1985م بعنوان: "دروس في الألسنية العامة" بإشراف: "صالح القرماضي".
- 2 - الترجمة العراقية: عام 1985م، بعنوان: "اللسانيات العامة" من طرف "جوال يوسف أسيس".
- 3 - الترجمة المصرية: عام 1985م، بعنوان: "فصول في اللسانيات العامة" من طرف "أحمد نعيم".
- 4 - الترجمة السورية: عام 1986م، موسومة بـ: "محاضرات في اللسانيات العامة"، من قِبَل "يوسف غازي".
- 5 - الترجمة المغربية: عام 1987م، بعنوان: "محاضرات في علم اللغة العام"، من قِبَل "عبد القادر القيني".

التي يتبناها المجتمع.

● اللغة عند دي سوسير: هي واقعة اجتماعية متواجدة في عقول الناس في شكل ضمني باطني، يقول: «إن اللغة توجد على شكل

مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد، وهي لا تتأثر بإرادة المتكلمين، ويمكن صياغة وجودها على هذا النمط: $1+1+1=1$ ».

ومعنى هذا الكلام أن اللغة موجودة عند جميع الناس بكيفية موحدة، وهي تبقى واحدة لأنها موروثة جماعي، كما أنها عبارة عن تمثيلات ذهنية، أي أن وجودها في الذهن، ولأجل ذلك فهي ظاهرة غير مادية (غير ملموسة) بل باطنية مجردة.

اللغة عند "دي سوسير" عبارة عن نظام ترتبط فيه جميع أجزائها بعضها ببعض؛ بمعنى أن هذه العناصر لا معنى لها في ذاتها، وإنما معناها يتحدد في ارتباطها ببعضها البعض، وكل تغيير يصيب عنصرا منها يؤثر على العناصر الأخرى بل وعلى النظام كله، وقد شبه "دي سوسير" النظام اللغوي بلعبة الشطرنج، فالقطع في اللعبة إنما تكتسب قيمتها حينما تكون لها صلة مع غيرها، فلا معنى للقطعة الواحدة إلا إذا كانت لها علاقة بغيرها داخل اللعبة، والدليل على ذلك أننا لو استبدلنا مثلا القطع الخشبية بقطع من العاج أو المعدن، فإن هذا التغيير لا يمس النظام، ولا يؤثر على قوانين اللعبة على العكس تماما إذا أقمنا أو زدنا عدد القطع، فإن هذا التغيير يؤثر على قواعد اللعبة.

● اللغة عند "أبي الفتح عثمان بن جني": يعرف اللغة قائلا: «حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

يشير "ابن جني" في هذا المفهوم إلى الأبعاد المختلفة للغة، وهي البعد الفيزيائي من خلال لفظ الأصوات، البعد النفسي من خلال كلمة "يعبر"، البعد الاجتماعي ويظهر ذلك جليا من خلال كلمة "قوم"، وكذا البعد الوظيفي التواصل في لفظ "أغراضهم".

● اللغة عند "نوام تشومسكي": يعرفها بقوله: «هي ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما، لتكوين وفهم جمل نحوية، أو هي جهاز توليد جميع الجمل الصحيحة في لغة ما».

تشير لفظة "فطرية" في هذا المفهوم إلى كون اللغة نظام موجود عند جميع البشر منذ ولادتهم، غير أن "تشومسكي" في هذا التعريف نجده قد مركز أكثر على النحو، حيث كان يرى موقع النحو أو التركيب في اللغة بمثابة القلب في جسم الإنسان.

ثالثا: المنهج: (المنهج الوصفي الاستقرائي الثابت الساكن القائم على الأسلوب العلمي):

يقوم هذا المنهج على وصف لغة معينة في زمان ومكان محددين، دون اعتبار لمبدأ الخطأ أو الصواب فيها، فالباحث اللغوي يصف اللغة ويناقشها دون فلسفة أو إقحام للمنطق.

وعلى الباحث أن يحدد أيضا المستوى اللغوي المقصود بالدراسة، إن كان صوتيا أو صرفيا أو نحويا أو دلاليا، وهذا التحديد هو من دواعي الدقة العلمية، لأن عدم تحديد زمن الدراسة أو مكانها، أو حتى المستوى اللغوي المدروس يؤدي

بالباحث إلى الخطأ، ومنه إلى نتائج مضللة ومشكوك في صحتها (غير يقينية)، وكما سبقت الإشارة فإن هذا المنهج قد جاء كرد فعل عن تلك المناهج التي سادت القرن 19م، على غرار: المنهج التاريخي والمنهج المقارن.

أ/ مرحلة الدراسات التاريخية: تهتم هذه الدراسات بدراسة اللغة منذ ولادتها إلى مرحلتها الحالية، وذلك من خلال تطبيق المنهج التاريخي الذي يقوم بدراسة لغة محددة عبر الزمن عكس المنهج الوصفي، وذلك قصد اكتشاف واستخلاص مجمل التغيرات والتطورات التي اعترت (أصابت) هذه اللغة خلال فترة حياتها (منذ نشأتها إلى وقتها الحاضر) عبر مستوى المبنى والمعنى، وعلى جميع المستويات اللغوية (الصوتي، الصرفي، النحوي، والدلالي)؛ علما أن المستوى الصوتي والدلالي هما أكثر المستويات عرضة للتغير والتحول، مقارنة مع غيرهما (الصرفي والنحوي).

ويقوم انتقاد "دي سوسير" لهذه الدراسات على ما يلي:

* إنها تعد اللغة مجرد وسيلة وليست غاية.

* إنها دراسات تميزت بعدها عن العلمية، والتي نادى بها "دي سوسير" مطلع القرن 20م.

* إنها تعتمد على المنهج التاريخي العاجز عن مساهمة التطور العلمي الحاصل، وعلى الوصف العلمي الدقيق لنظام اللغة ومستوياتها التحليلية المختلفة.

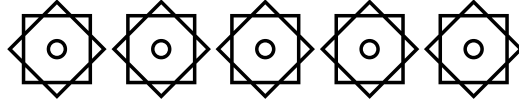
ب/ مرحلة الدراسات المقارنة: ظهرت هذه الدراسات منذ إن اكتشاف الأوروبون العلاقات (أوجه الشبه) القائمة بين اللغات الأوروبية واللغة الهندية (السانسكريتية)، حيث تعمل هذه الدراسات على تطبيق المنهج المقارن الذي يقوم على المقارنة بين لغتين أو أكثر سواء أكان ذلك على المستوى الصوتي أم الصرفي أم النحوي أم الدلالي من أجل معرفة أوجه التشابه، والاختلاف القائم بين اللغات المدروسة، قصد البحث عن الأصل الواحد الذي انبثقت وتفرعت عنه هذه اللغات، ثم في مرحلة لاحقة تصنيف اللغات إلى عائلات لغوية.

أما عن النقد الذي وجهه "دي سوسير" للدراسات المقارنة هو أنها تستخدم اللغة وسيلة لا غاية مثلها مثل الدراسات التاريخية، كل ذلك دفع "دي سوسير" لطرح بديل آخر يجعل اللغة وسيلة قصد الوصول إلى الغاية المرجوة ألا وهو: المنهج الوصفي الآتي.

واللغة في العربية هي من الجذر: ل. غ. و، من اللغو، وهو السقط من الكلام أو الكلام الذي لا قيمة ولا فائدة له، وهذا ما جعل العديد من اللغويين يرفضون استخدام مصطلح اللغة، ويفضلون في المقابل استعمال مصطلح اللسان، بحكم أنها لم تذكر في القرآن الكريم، ومن استعمال مصطلح اللسان جعله مقابلا للمصطلح الأجنبي Langue وليس Langage.

مراجعا: اللسانيات، وإلى أي حقل معرفي تنتمي؟

تنتمي اللسانيات باعتبارها علما خاصا، وفرعا من علم آخر أوسع وأشمل منها إلى حقل السيميائيات أو ما يعرف كذلك بعلم العلامات/ علم الإشارات "Senaiologie"، فإذا كانت اللسانيات تدرس ما هو لغوي لفظي فقط، فإن السيميولوجيا تدرس ما هو لغوي وما هو غير لغوي. والسيميائيات كما تنبأ "دي سوسير" في بداية القرن 20م هو: «علم غير موجود بعد، فلا يمكن أن تتوقع بما سيكون عليه، ولكن يحق له أن يوجد، ومكانه محدد سلفا، وليست اللسانيات سوى قسم من أقسام هذا العلم العام».



المحاضرة الرابعة: البنية في الدرس اللغوي الحديث

أولاً: مفهوم البنية لغة: البنيةُ والبُنْيَةُ ما بنيتهُ وهو البنى والبنى، والبنية: الهيئة التي بُني عليها، وهذه الكلمة في العربية مشتقة من الفعل الثلاثي "بَنَى" الذي يدل على معنى التشيد والعمارة، وفي النحو العربي تتأسس ثنائية المعنى والمبنى على الطريقة التي تبنى بها وحدات اللغة والتحويلات التي تحدث فيها، لذلك فالزيادة في المبنى يعني بالضرورة زيادة في المعنى.

تشتق كلمة بنية Structure في اللغات الأوروبية من الأصل اللاتيني Stuerه الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقوم عليها مبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنا ما من وجهة النظر الفنية المعمارية، وتنص المعاجم الأوروبية أن فنّ المعماري architecture يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن 17 م.

ثانياً: مفهوم البنية اصطلاحاً: البنية باعتراف مرواد اللسانيات: نظام أو نسق "Système" يعمل في ضوء قوانين معينة، وهذا النظام يقوم ويتطور بناء على وظيفة هذه القوانين الداخلية دون الرجوع إلى عناصر خارجية؛ فالبنية ليست شتاتاً أو مراكماً من العناصر والأجزاء يمكن أن يتميز بالاستقلال الداخلي بل على العكس تماماً، فكل عناصرها تقوم على قانون مضبوط.

يقول "لويس يالمسلاف": «إنّ البنية كيان مستقل من العلائق بينها تبعية وخضوع»^(*) داخليان، فهي تشكل وحدة مستقلة بين عناصرها تساند داخلي، ولها قوانينها الخاصة».

يتضح من هذا القول أن معرفة البنية لا يمكن أن تنتج عن تحليل كل عنصر على حدة، ومن هنا كان عليا القول بأنّ العناصر لا يمكن أن تسبق وجود الكل، فالعناصر لا تؤخذ منفردة، بل من خلال المجموع.

ثالثاً: خصائص البنية في اللغة:

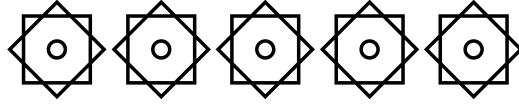
تتميز البنية بثلاث خصائص هي:

① **الكلية أو الشمولية:** لا تتحقق البنية إلا بوجود شمل أو جمع من العناصر أو الأجزاء التي تشكل كلاً غير قابل للتجزء، فالصوت المفرد لا يشكل كلمة، والكلمة المفردة لا يمكن لها أن تشكل جملة، واللغة إنما هي تضافر مجموعة من العناصر من أصغر عنصر وهو الصوت، إلى أكبر عنصر وهو الدلالة.

② **التحويل:** هو ضرب من التوليد، ينبع داخل البنية، أي يمكن استخراج مجموعة من البنيات الممكنة انطلاقاً من البنية الأصلية. مثل: قاتل محمد وأحمد الأسد.

يمكن أن نولد منها عدداً من الجمل الصحيحة نحويًا ودلاليًا نحو: قاتل أحمد ومحمد الأسد، قاتل الأسد أحمدًا ومحمدًا، قاتل الأسد ومحمد أحمد، ... وهلم جرا.

(*) - تبعية وخضوع: أي لا يستطيع أي عنصر من البنية (الكل) الانفصال عن الآخر.



المحاضرة السادسة: ثنائيات "فرديناند دي سوسر" (01) (اللغة والكلام، الدال والمدلول) أولا: اللغة (Langage) والكلام (Parole):

خالف "دو سوسر" اللغة عن الكلام، لأنه كان يهدف منذ البداية إلى تحديد دقيق وعلمي لموضوع الدراسة اللسانية، فالكلام لا يمكن له بأي حال من الأحوال أن يكون موضوع العلم ما دام يحتوي على طبائع مختلفة، أما اللغة فيجب أن تدخل ميدان الترتيب والتصنيف؛ فهي كل متجانس^١ ثابت^٢، فالكلام ملكة خاصة، واللغة عرف وقانون اجتماعي.

ومن مميزات اللغة أنها نظام موجود في كل دماغ، لكنها لا توجد تامة عند الفرد، وهي عبارة عن نظام من العلامات والقواعد ليس له تحقق فعلي، لأن الناس لا يتكلمون القواعد، وإنما يتكلمون بفضل هذه القواعد، وهي شيء اتفاقي مكتسب، وجزء اجتماعي للإنسان الذي لا يقوى الفرد على خلقه أو تغييره، فهو خارج عن ثقافة الفرد.

على الرغم من الاختلافات والثنائيات القائمة بين اللغة والكلام، وتفضيل "دي سوسر" للغة لثبوتها عن الكلام لتحوّلها، إذ جعلها موضوع الدراسة اللسانية، إلا أن هذا لا يعني وجود انفصال بينهما، فها هو "دي سوسر" من جهته يؤكد على وجود علاقة رابطة بين الغرضين؛ فاللغة ضرورية حتى يصبح الكلام مفهوما، ومن ثمة يتحقق التواصل، والكلام أيضا ضروري لكي تقوم اللغة وهو سابق لها، فهناك تأثير متبادل بين اللغة والكلام.

ثانيا: الدليل اللغوي (Signe) [الدال (Signifiant)، المدلول (Signifié)]

يرغم بعض الناس أن الدليل اللغوي هو ارتباط كلمة بشيء أو بفكرة من الواقع الخارجي، لكننا إذا انتقلنا من لغة إلى أخرى نلاحظ أن الأشياء تبقى هي نفسها لا تتغير، بينما أسماءها تتغير من لغة إلى أخرى. فما هو الدليل اللغوي إذن؟ يوضح "دو سوسر" مفهوم الدليل اللغوي انطلاقا من الدائرة التخاطبية القائمة على متحاورين اثنين: أ و ب يتبادلان الكلام، وهما الحد الأدنى المطلوب لا كتمال دائرة الكلام وحدوث عملية التواصل، في هذه الحالة يكون انطلاق دائرة الكلام من دماغ أحد الشخصين، ولنفترض أن هذا الشخص هو "أ" أي الباث (المتكلم)، وفي هذا الدماغ توجد أحداث الوعي التي نطلق عليها مصطلح "المفاهيم" (Concepts)، حيث ترتبط هذه المفاهيم والتصورات بالصورة السمعية (Image acoustique) المستخدمة للتعبير عن هذه المفاهيم، فلنفترض أن مفهومنا معيناً يطلق في الدماغ صورة سمعية مطابقة، فالعملية هنا عبارة عن ظاهرة نفسية تتبعها عملية فسيولوجية (عضوية)، بعدها تنتشر الموجات الصوتية (الذبذبات الصوتية) من فم المتحدث "أ" إلى أذن المستمع "ب"، وهذه العملية فيزيائية صرفة، تمتد بعدها دائرة التخاطب داخل الشخص "ب" بترتيب عكسي، وذلك مروراً بالأذن والدماغ.

يسمى "دي سوسر" الصورة السمعية دالا (Signifiant)، ويُرمز له بـ: [Sa]، ويسمى التصور أو المفهوم مدلولاً (Signifié) ويُرمز له بـ: [Sé].

والدليل اللغوي أو العلامة اللسانية (Signe) عنده هي اتحاد بين دال ومدلول، وهما مرتبطان ومتحدان كوجهي الورقة (العملة) النقدية الواحدة، لا يمكن الفصل بينهما؛ إذ أن فصل أحدهما يستدعي بالضرورة فصل الآخر.

تفصيل مصطلحي:

* **الصورة السمعية:** هي انطباع الصوت في ذهن، أو هي الأثر المحاصل بعد سماع الأصوات، أو صورة الكلام الذي سيتم التلفظ به، بعد حصول المعنى في ذهن.

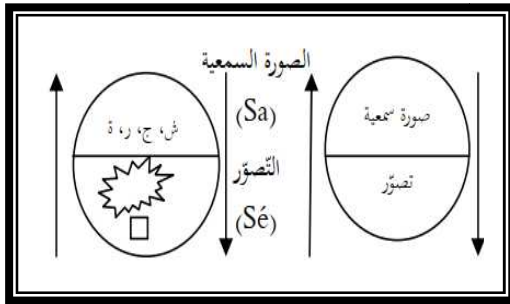
* **التصوّر:** هو انطباع الشيء في ذهن، أو هو المفهوم والمعنى الناتج من قراءة الصورة السمعية.

الدليل اللغوي عند "دي سوسير" علاقة ذهنية لا مادية:

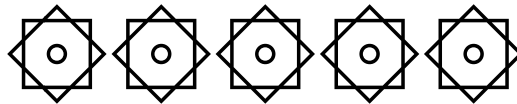
الدال هو الصورة السمعية، وهو مظهر حسي فيزيائي تدركه العين كتابة ويدركه السماع ملفوظا، أما المدلول فهو صورة ذهنية للدال أو المفهوم، وهو مظهر مجرد، والعلامة أو الدليل اللغوي عند "دي سوسير" علاقة ذهنية، لكنها لا تربط بين اللفظ (الكلمة أو الاسم)، والمفهوم (الشيء أو المسمى)، بل بين **التصوّر** والصورة السمعية، فكلمة "قلم" مثلا: لها جانب مادي يتمثل في الشيء الموجود في الواقع (أداة الكتابة) واللفظ المنطوق بالفعل (الأصوات: ق، ل، م)، ولها جانب ذهني يتمثل في مفهوم أو صورة ذهنية للشيء المشار إليه بلفظ قلم، وصورة سمعية؛ أي صورة اللفظ نفسه التي يمكن أن تمثلها لو نظرنا إلى كلمة "قلم" وهي مكتوبة دون النطق بها.

إن العلاقة بين المفهوم (التصوّر / الصورة الذهنية)، والصورة السمعية أو الصوتية هي علاقة تستبعد الجانب المادي، فهذه الصورة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي محض، بل هي الأثر النفسي الذي تحدثه الحواس (الانطباع الذي يشهده في ذهن).

بناءً على ما قيل فإن العلامة اللغوية كيان نفساني ذو وجهين: المفهوم والصورة السمعية، والعلاقة بينهما متبادلة، فكل منهما يستدعي الآخر، وهذا ما يوضحه السهمان العموديان في الشكل التالي:



يحدّد "دي سوسير" طبيعة العلاقة التي تجمع بين الدال والمدلول بأنها اعتبارية (Arbitraire) قائمة على العُرف والتّواضع والاصطلاح من أجل تحقيق التّواصل بين أفراد الجماعة اللغوية؛ بمعنى أنّ هذه العلاقة غير طبيعية وليست ضرورية، بل عشوائية غير معللة، فليس هناك أي مبرر أو سبب يربط دالا معينا بمدلول معين، وسيأتي التفصيل بحول الله تعالى في هذه العلاقة عند الحديث عن خصائص اللسان البشري.

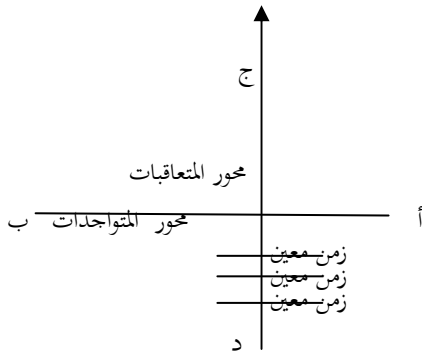


المحاضرة السابعة: ثنائيات "فرديناند دي سوسر" (02) (الآنية والتاريخية، الاستبدال والتركيب)

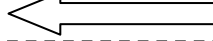
ثالثاً: الآنية، الوصفية، السكونية، التزامنية، السانكرونية (Synchronie)

التطورية، التاريخية، التعايقية، الزمنية، الدياكرونية (Diachronie)

Synchronie و Diachronie هما مصطلحان مأخوذان عن الإغريقية، فالأول: وصفي ثابت يشير إلى حالة من حالات اللغة وهي تؤدي وظيفتها في زمن معين، والثاني يعني مرحلة من مراحل تطوّر اللغة. فاللسانيات الآنية تدرس أية لغة دراسة وصفية في نقطة زمنية ومكان محددين، أما اللسانيات الزمنية فتدرس مختلف التغيرات والتطورات والتحوّلات التي تطرأ على لغة معينة عبر فترة من الزمن، أو خلال حقبة متتابعة من الزمن الماضي، وذلك على مستوى المبنى والمعنى معا.



إنّ الطابع الآني يتجسّد على مستوى محور المتواجدات (أي الأشياء المتواجدة في زمن واحد؛ أي المترامنة، ولا دخل للزمن فيه، أمّا الطابع الزمني فيتجسّد على مستوى محور المتعاقبات الذي لا يمكن أن تعتبر فيه الأشياء إلا وهي منفصلة، وهذا ما يوضحه الرسم التالي:



والدراستان إحداهما مكملّة للأخرى؛ فأيّة دراسة تاريخية تتطلّب دراسة وصفية آنية، وهي متركبة من سلسلة من النقاط الآنية، والدراسة الآنية كذلك لا يمكنها التخلص من الزمن، وإنما بإمكانها التخلص من فكرة التطور، وعلى هذا فاللغة نظام تجتمع فيه صفة السكون أو الثبات، والتطوّر أو التحول في الوقت ذاته.

مربعاً - المحور الاستبدالي، الاختياري، الترابطي، التراثي، العمودي (Axe paradigmatique)

المحور التركيبي، السياقي، الركني، الترتيبي، النظمي، الأفقي (Axe syntagmatique)

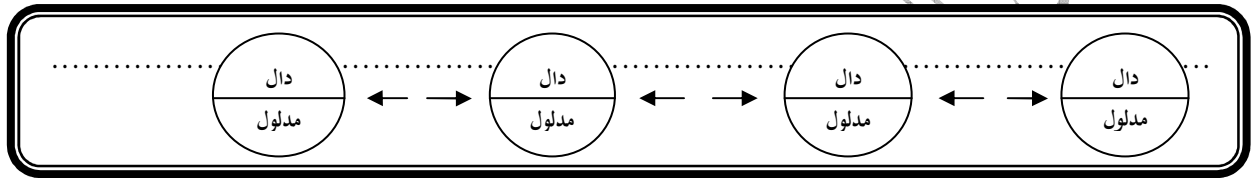
أثناء الاستعمال أو الإنجاز (توظيف اللغة) يقوم المتكلّم في كلّ لغة باختبار مجموعة من الألفاظ التي يراها مناسبة لسياق الحديث؛ هذه الألفاظ تقوم بينها علاقات من قابلية الاستبدال، أي علاقات من قابلية التعويض، ومعناها أنّ المتكلّم حين يختار كلمة ما بإمكانه أن يستبدلها بواحدة أخرى متاحة في مرصيده المعجمي. ما إن يستعمل المتكلّم واحدة من تلك الإمكانيات المتوفرة لديه حتى تنزاح وتغيّب الإمكانيات الأخرى المترادفة والواردة في جدول واحد. مثال: أكل الغلام تفاحة، يختار المتكلّم [أكل] من بين مجموعة من المفردات الأخرى المترادفة أو القريبة المعنى نحو: التهم، قضم، هضم، تناول، أخذ، ... الخ، ثمّ يختار [الغلام] من بين مجموعة أخرى واردة في جدول أو حقل آخر نحو: الفتى، الطفل، الصبي، الولد، ... الخ، ثمّ يقول [تفاحة] بدلاً من لفظة مؤنزة، برقالة، إجابة، فرولة، ثمرة، مرانة، فاكهة، ... الخ.

نقول عن الإمكانيات المختارة (أكل+ الغلام+ تفاحة)، أي التي تحققت بالفعل وتم استعمالها: أن الحاضرة منها تتحقق بالغائبة ونسمي العلاقات الاستبدالية القائمة فيما بين هذه الإمكانيات علاقات غيائية، أي أن الإمكانيات اللغوية الممكنة الاستعمال تظل في ذهن المتكلم وتزول لأنها لم توظف ولم تستعمل.

بعد مرحلة الاختيار، يقوم المتكلم برصف وترتيب الوحدات اللغوية التي تم اختيارها في مرحلة أولى، أي يقوم بتركيبها والتأليف فيما بينها وفق القوانين والقواعد الصرفية والنحوية الموجودة في كل لغة، ونسمي العلاقات القائمة بين الإمكانيات اللغوية المحققة بالفعل (أكل+ الغلام+ تفاحة) علاقات حضورية، لأنها مستعملة وموجودة ومحققة.

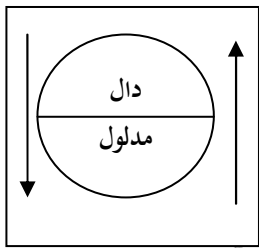
خامساً - الدلالة والقيمة اللسانية:

تعدّ اللغة في نظر "دي سوسير" نظام من المفردات، وقيمة كل مفردة إنما تتحدّد بتمثيلها أولاً لفكرة معيّنة، وبوجودها ثانياً مع غيرها من المفردات، وهذه الترسّمة توضح ذلك:

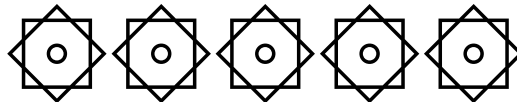


فكل دائرة من هذه الدوائر تمثل علامة لغوية (دال+ مدلول)، والسهمان يشيران إلى العلاقة بين المفردات (العلامات)، وتشير النقاط إلى إمكانية وضع وإضافة علامات أخرى.

ميّز "دوسوسير" بين القيمة والدلالة (المعنى) أو المدلول الذي هو قسيم الدال، فالمدلول أو الدلالة هو معنى الكلمة مقترن بالدال، وهي تجري في نطاق الدليل الواحد، وهذا الرسم يوضح ذلك:



يشير السهمان هنا إلى الترابط العضوي القائم بين الدال والمدلول، وهذه العلاقة التي يمثّلها السهمان العموديان لا تشبه العلاقة التي يمثّلها السهمان الأفقيان في الشكل السابق. فالعلاقة الأولى تكون على مستوى علامة لغوية واحدة، يرتبط فيها الدال بالمدلول، بحيث يشكلان معاً وجهان لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، أمّا العلاقة الثانية فتجري بين علامة لسانية وعلامة أخرى، وتحدّد مكان علامة ما في النظام بدراسة علاقتها بغيرها من العلامات، وهذا ما يعرف بـ: القيمة؛ فهي إذن تستمدّ ذاتها من العلامات التي تربط علامة ما بعلامات أخرى تابعة لنفس النظام اللغوي؛ بمعنى أن هذه العلاقة تتجاوز حدود الدليل اللغوي الواحد.

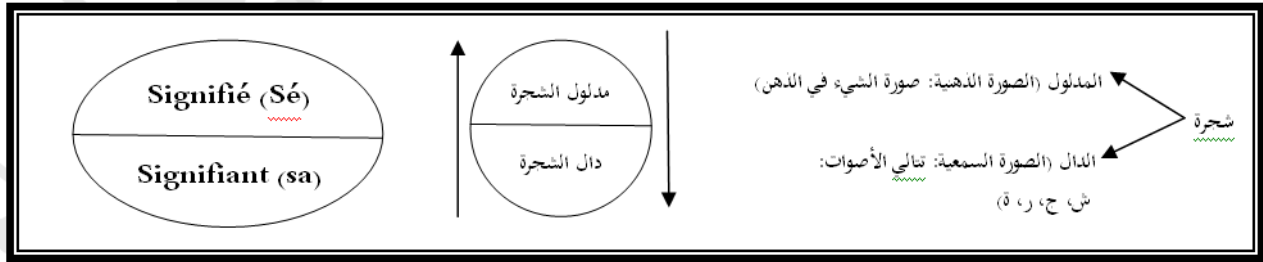


المحاضرة الثامنة: خصائص اللسان البشري

يتميّز اللسان البشري عن غيره من أدوات التعبير والتواصل بمجموعة من الخصائص التي تجعل منه منظومة قائمة بذاتها، أي مجموعة من العناصر التي لا معنى لها في ذاتها، وإنما معناها في ارتباطها مع بعضها، وكل تغيير يصيب عنصراً منها يظهر أثره على سائر العناصر الأخرى، بل على النظام كله. وأهم هذه الخصائص هي:

أولاً - اعتبارية الدليل اللغوي: يعدّ الدليل اللغوي بالنسبة لـ "دي سوسير" عنصراً من عناصر الجهاز اللغوي، وهو الوحدة اللسانية المكوّنة من عنصرين بينهما كمال الاتصال، فهما كوجهي الورقة الواحدة، يسمى أحدهما دالاً، وهو الصورة السمعية التي تتضمنها الدليل، ويسمى الثاني مدلولاً وهو المتصور الذهني، أو ما يسمّى قديماً بالمعنى.

فالعلامة ليست الدال وحده أو المدلول وحده، وإنما هي هما معاً، ولعل هذا ما توضحه الترسمة أسفله.



يشير السهمان إلى الترابط العضوي بين الدال والمدلول

إنّ العلامة (Signe) في نظر "دي سوسير" توجد بين مفهوم (Concept)، وصورة سمعية (acoustique Image)، لا بين شيء واسم (كلمة)، فالعلامة هي وحدة النظام، وهي العنصر اللساني الذي يتكوّن من صورة سمعية ومفهوم، والمفهوم هو الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية. فمثلاً كلمة: مرجل هي علامة لسانية مكوّنة من صورة سمعية، وهي الإدراك النفسي لتتابع الأصوات: مر، ج، ل، ومفهوم وهو مجموع السمات الدلالية (حي، ذكر، عاقل، إنسان، مرشد، ...)، فالتتابع الصوتي بمفرده لا يكون علامة لسانية، كما أنّ السمات الدلالية بمفردها لا تشكل علامة لسانية؛ فالعلامة انطلاقاً من هنا هي مركب يتكوّن من وجهين: دال ومدلول، ولا يمكن الفصل بينهما لأنهما يرتبطان بعلاقة اصطلاحية تواضعية اتّفاقية، من أجل تحقيق التواصل والتفاهم بين الأفراد، يطلق "دي سوسير" على هذه العلاقة تسمية "اعتباطية" (Arbitraire)، ومعناها أنّه لا يوجد أيّ مبرر أو سبب يجعل هذا الدال مرتبط بالضرورة بذلك المدلول، وإنّما ذلك مصطلح ومتفق حوله بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، ليس لأيّ غرض آخر سوى لتحقيق التواصل بينهم، وقد ضرب "دي سوسير" مثلاً واقعياً للتأكيد بأنّ العلاقة القائمة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية عشوائية غير ضرورية (غير طبيعية/ غير معللة) بلفظة "كلب".

فهذه اللفظة لا توحى إلى حيوان معين من أربع قوائم، فذلك قائم على التواضع والاصطلاح والاتّفاق لا غير، كما أنّه لا يوجد أيّ تشابه بين الحيوان والأصوات المشكلة له [ك. ل. ب.]، بحيث يمكن استبداله بلفظ آخر إذا اتفقت الجماعة اللغوية على ذلك، وهناك دليل قاطع على اعتبارية الدليل اللغوي، وهو أنّ كلّ لغة تعبّر عن كلب بلفظ خاص بها، ولو وُجدت علاقة طبيعية ضرورية بين الدال والمدلول لكانت هناك لغة واحدة في العالم. بيد أنّ هذه العلاقة قد تكون ضرورية حتمية في حالات استثنائية؛ أي أنّ هناك علامات يتشابه فيها الدال مع المدلول، وهذه العلامات بمثابة الصدى

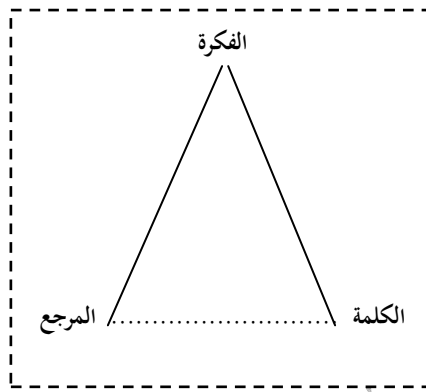
لأصوات الطبيعة [خمر المياه، هديل الحمام، صليل السيوف، نرير الأسد، حفيف ورق الشجر، هزيم الرعد، مواء القطط، خوامر البقر، نغاء الكباش، صهيل الحصان، دبيب النمل، طنين الذباب، عواء الذئب، صرير القلم، تكتكة الساعة، نباح الكلاب، نرقرة العصافير، ... وهلم جرا]، لكتها تظل قليلة في اللغات صادف وأن تشابهت ودلالاتها، ولما كانت قليلة تختلف باختلاف اللغات وجب عدم اتخاذها أساساً للحكم على أن هذه العلاقة طبيعية معلة.

ويتشكل مبدأ الاعتبارية عند "دي سوسير" في صورتين وهما:

1- الاعتبارية المطلقة: وفيها تتجرد العلاقة بين طرفي العلامة من أي رابط سببي.

2- الاعتبارية النسبية: وفيها تظهر العلامة محتفظة باعتباريتها، مع احتمال وجود علاقة سببية بين طرفيها.

هناك اتجاهات كثيرة اعترضت "دي سوسير" لتجاهله للمرجع، وهو الواقع التي تحيل إليه اللغة في العالم الخارجي، ومن هؤلاء "أوجدان ومرتشاردز" اللذان أضافا المرجع كحدّ ثالث إلى جانب الدال والمدلول، ومسألة المعنى عندهما تقوم على علاقة ثلاثية تربط بين الأشياء والأفكار والكلمات، ويُعبّر عنها بهذا المثلث:



قاعدة هذا المثلث عبارة عن خط متقطع، والسبب يرجع إلى أن العلاقة التي تربط الدال (الكلمة) بالمرجع هي علاقة غير مباشرة؛ إذ أن استحضار المرجع يستدعي بالضرورة المرور عبر المدلول، والمرجع شيء خارجي، وهو عالم غير لغوي يحدّد بالأشياء المادية المحسوسة أو غير المحسوسة، لذا يمكن تفسير العلاقة بين الفكرة والمشار إليه (المرجع) تفسيراً سببياً (علاقة مباشرة أو غير مباشرة)، ويستند "أوجدان ومرتشاردز" في اعتبارهما للمرجع مكوّناتاً هاماً من مكوّنات العلامة إلى حجة مفادها: أن عناصر اللغة ما هي إلاّ علامات تملك دلالات محدّدة، والخاصية الأساسية للمؤنر اللغوية هي خاصيتها المرجعية؛ إذن فالكلمات لا تعني شيئاً في ذاتها، وإنما في كونها مراجعة إلى شيء في الواقع.

وانتقد "إميل بانفنيست" "دي سوسير" في طبيعة العلاقة التي تجمع بين الدال والمدلول، ورأى أنها ضرورية وطبيعية، فلا بدّ أن تشير سلسلة الأصوات [ك. ل. ب] في ذهن تصوّر حيوان معيّن وإلاّ انتفت الدلالة، ويرى أن الاعتبارية لا تقوم بين الدال والمدلول، بل بين الدال والمرجع؛ فلا علاقة بين سلسلة الأصوات والحيوان الواقعي في عالم الموجودات، وهذا النقد مراجع إلى استبعاد "فرديناند دي سوسير" في تعريفه العلامة اللسانية للمرجع، وحصرها في الدال والمدلول فقط.

إن الاعتبارية الدليل اللغوي جذورها عريقة في لغتنا العربية من ذلك ما جاء به "الجزجاني" عندما قال: «لو أن واضع اللغة كان قد قال مَرَبَضَ مكان ضَرَبَ لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد»، ويضيف "الإسفراني" قائلاً: «إن الأسماء لا تدلّ على مدلولاتها لذاتها؛ إذ لا مناسبة بين الاسم والمسمى، ولذلك يجوز اختلافها باختلاف الأمم ويجوز تغييرها، والثوب يسمى في لغة العرب باسم، وفي لغة العجم باسم آخر، ولو سمي الثوب فرساً، والفرس ثوباً ما كان ذلك مستحيلاً».

ثانياً – الثبات والتغير: سمة اللغة الثبات والتغير، وهي خاصية تتميز بالتناقض، ولكونها موجودة ومنطقية، إذ تشكل عقدا اجتماعيا وإمراثا يحمله أفراد الجماعة اللغوية جيلا بعد جيل، ولا يمكن أن تتدخل الإرادة الفردية بشكل عشوائي في تغير نظام اللغة، فهي ملكٌ مُشاعٌ جماعي، وكل ثابت بشكل واحد لدى جمهور المتكلمين.

بيد أن اللغة تتغير تدرجيا بفعل الزمن، فمعلوم أن الزمن ينال من كل شيء فيغيره، إضافة إلى قدرة المتكلمين على إحداث التغير، فإذا ما تصورنا شخصا عاش منفردا طوال سنوات، فإننا لا نلاحظ أي تغير على مستوى اللغة التي يوظفها، ولا أي عمل للزمن فيها، فاللغة تتغير بشكل جماعي وتدرجيا عبر الزمن.

ثالثا – التقطيع المزدوج (le doublé articulation): تقر اللسانيات السوسيرية (فرديناند دي سوسير) واللسانيات الوظيفية (أندري مارتيني) بظاهرة التقطيع المزدوج للغات، وهي خاصية عامة تشارك فيها جميع اللغات البشرية؛ فالقول: إن الكلام البشري متمفصل، هذا يعني أن الوحدات المختلفة التي يتشكل منها الكلام هي نفسها تتركب من وحدات أصغر منها.

يتقطع الكلام البشري إلى مستويين هما:

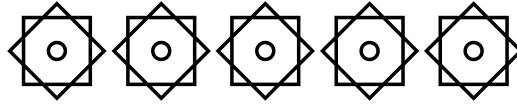
أ/ التقطيع على مستوى الوحدات الدالة: أي المونيمات (les monèmes) وترجمت إلى العربية بمصطلح "الفاظم"، وهي الوحدات الصوتية التي تحمل في ذاتها معنى، وتقبل التحليل إلى وحدات دنيا وأصغر منها عديمة الدلالة.

ب/ التقطيع على مستوى الوحدات غير الدالة: وتسمى الفونيمات (les phonèmes) وترجمت إلى العربية بالصوارة، وهي الوحدات الصوتية الدنيا، التي ليست لها دلالة في ذاتها، ولكنها قادرة على تغيير المعنى، وتسمى هذه الوظيفة التي يقوم بها الفونيم بالوظيفة التمييزية سواء من خلال استبدال فونيم صامت محل فونيم صامت آخر نحو: قام. أو من خلال استبدال فونيم صامت محل صامت آخر نحو: الحُطْبَةُ، الحُطْبَةُ أو من خلال تغيير موقع الفونيم داخل المونيم الواحد، ليتبع هذا التغير تغير الدلالة نحو: دلو، ولد مثلا، وهكذا دواليك.

مرابعا – الخطية: هي خاصية من خصائص اللسان البشري، موجودة في جميع اللغات الإنسانية، ومعناها: تنزل الكلام على محاور الكتابة أو المشافهة بشكل تابعي تسلسلي. يقول "فرديناند دي سوسير": «تتمظهر الخطية لما تعوض الدوال المسموعة المنطوقة في خط الزمان، الدوال المكتوبة المرسومة في خط المكان». ومعناه أن الوحدات الصوتية التي ينتجها جهاز التصويت الإنساني تأتي تبعا متسلسلة في برهات متتالية من الزمن؛ ذلك أن قصورنا البشري يحول دون أن نطق بصوتين في نقطة ثابتة من الزمن، لذلك فالكلام يتم إنتاجه على نقاط متحركة من خط الزمن، فلا يمكننا مثلا أن نلفظ بالباء والقاف في وقت واحد.

تأخذ هذه السلاسل الصوتية المسموعة المنطوقة حينها من المكان (الفضاء المكاني) حينما تُقَيَّدُ بالكتابة، وتتحوّل من فونيمات إلى غرافيمات (Graphèmes) أي دوال خطية مرسومة بصريّة مكتوبة، وتُقَيَّدُ بالكتابة يجعلها محفوظة في الذاكرة البعيدة، عكس الأخرى التي ترتبط بلحظة إنتاجها وتلقيها.

وقد حدّد العلامة "ابن خلدون" نروجاً اصطلاحياً في تحديد مبدأ الخطية هما: التعاقب والتوالي؛ إذ هما شرطاً مبدأ الخطية. يقول: «تتركب سلسلة الكلام من الحروف المتعاقبة المتوالية، فكل واحد من تلك الحروف يحدث عقيب صاحبه، فبديهي إذن أن يتنافى التعاقب والتوالي مع تصوّر التراكم في الحدث اللساني بالتوافق الكلي بين أجزائه». تظهر كل اللغات في شكل خط إما من اليمين إلى اليسار كما هو الحال في اللغة العربية، أو العكس كما هو الشأن مع الفرنسية، الإنجليزية، والإسبانية وغيرها، أو من الأعلى إلى الأسفل كما هو الحال مع الصينية، وبعض اللغات الأخرى الشائعة في قارة آسيا.



المحاضرة التاسعة: اللسانيات والتواصل اللغوي

النموذج التواصلية عند "رومان جاكسون"

أولاً: عوامل وعناصر التواصل اللغوي عند "رومان جاكسون":

يتكوّن النموذج الذي اقترحه "رومان جاكسون" للدائرة التواصلية من ستة عوامل أساسية ومتكاملة هي:

1- المرسل (Destinateur): وهو مصدر الخطاب المقدم، يعدّ تركباً جوهرياً في الدائرة التواصلية اللفظية، فهو الباعث الأول لإنشاء خطاب يُوجّه إلى المرسل إليه في شكل رسالة، وقد تداول اللسانيون هذا العامل في قوالب اصطلاحية متباينة من قبيل: الباث، المخاطب، الناقل، المتكلم، المتحدث وهلمّ جراً، ورغم اختلاف المصطلحات المستعملة للتعبير عن هذا العامل من عوامل التواصل اللفظي، فإنّه يظلّ طرف أول في الجهازي التخاطبي، ويستحيل للعملية التواصلية التخاطبية أن تستغني عن هذا الطرف سواءً بشكل جزئي أو كلي.

2- المرسل إليه (Destinataire): يقابل المرسل إليه المرسل في الدائرة التواصلية التخاطبية، ويطلق عليه كذلك مصطلح: المستقبل، المخاطب، السامع، المتلقي، القارئ، المستمع، وهكذا دواليك، وهو طرف أساسي أيضاً في عملية التواصل، يقوم بعملية التفكيك (Décodage) لأجزاء الرسالة المشفرة (المرمزة).

3- الرسالة (Message): هي الجانب الملموس في العملية التخاطبية، حيث تتجسّد عندها أفكار المرسل في شكل دوال مسموعة منطوقة (شفوية/ ملفوظة)، أو في شكل دوال مكتوبة مرسومة (بصرية/ خطية).

4- السنن (Code): تعدّدت اصطلاحات اللسانيات بشأن هذا العامل، فبعضهم استعمل مصطلح اللغة، وبعضهم استخدم مصطلح النظام، فيما أطلق عليه البعض الآخر مصطلح القدرة أو الطاقة... الخ، وعلى اختلاف هذه الدوال في التسمية، نلاحظ اشتراكها في مدلول واحد يحيل على نظام ترميز (Un code) مشترك كلياً أو جزئياً بين المرسل والمرسل إليه.

يمثل السنن نقطة انطلاق الباث عندما يرسل رسالة خطابية معينة، حيث يعمل على الترميز (Codage)، وإليه كذلك يعود المخاطب في مرحلة لاحقة، أين يعمل على تفكيك الترميز (Décodage).

5 – السياق (Con texte): لكل رسالة مرجع تحيل إليه، وسياق مضبوط تُنتج ضمنه، ولا تفهم مكونات الرسالة أو تفكك رموزها السننية إلا بالإحالة على الملبسات (الظروف والعوامل) التي أنجزت فيها هذه الرسالة قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب، ويسمى السياق كذلك بالمرجع (Le référent).

6 – القناة: هي الوسيط الناقل للرسالة، وهي المر الذي تسلكه الرسالة بين المرسل والمرسل إليه. ثانيا: وظائف اللغة عند "رومان جاكسون":

تنتج عوامل التواصل اللفظي الستة من الناحية اللسانية ست وظائف هي كالآتي:

1 – الوظيفة التعبيرية (Fonction expressive): ترتبط هذه الوظيفة بالمرسل، لأنها تنقل حمزة الأفكار والمشاعر إلى الطرف الآخر (المرسل إليه)، والتي من خلالها يهدف المرسل للتأثير في المتلقي، وتسمى كذلك بالوظيفة الانفعالية (Fonction emotive).

2 – الوظيفة الإفهامية (Fonction cognitive): يطلق عليها بعض اللسانيين مصطلح وظيفة تأثيرية (Fonction impressive). يطلق على هذه الوظيفة مصطلح "إفهامية" إذا نظر إلى الخطاب من وجهة نظر عقلية، ويطلق عليها مصطلح "تأثيرية" إذا نظر إلى الخطاب من زاوية عاطفية أو انفعالية.

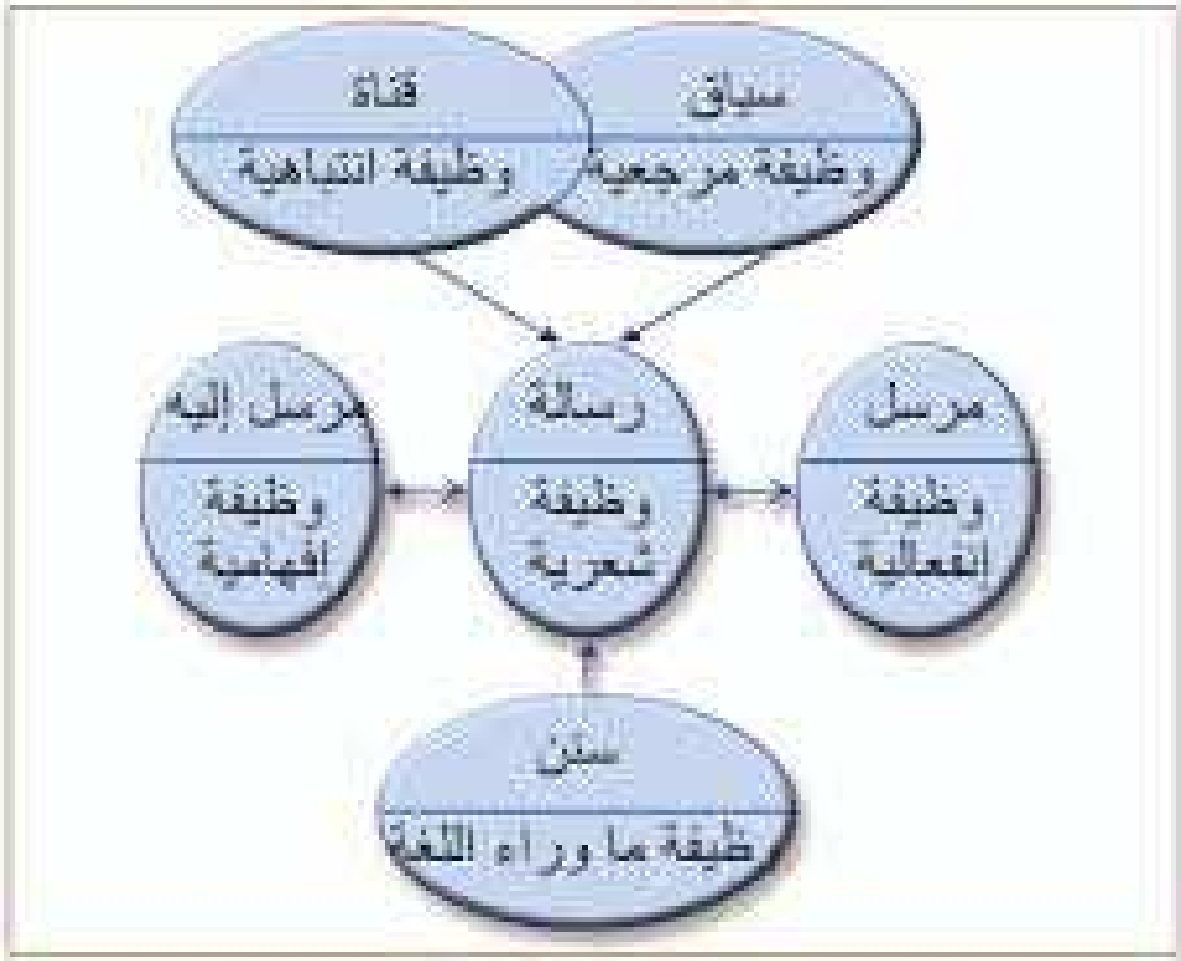
3 – الوظيفة الاتبائية (Fonction phatique): تتعلق هذه الوظيفة بعامل القناة؛ ففي خطاب تغطي عليه الوظيفة الاتبائية نجده متضمنا لجمل تعمل على ضمان وصول الرسالة إلى متلقيها، فهناك أنماط لغوية تكون مهمتها المحافظة على سلامة جهاز الاتصال والتأكد من استمرار مرور سلسلة الرسائل الموجهة إليه على الوجه الذي أرسلت به، وهذا ما ذهب إليه "رومان جاكسون" عندما أقر بأن هناك بعض الرسائل توظف في الجوهر لإقامة التواصل وتمديده أو قطعه، وتوظف للتأكد من أن دورة الكلام سارية وتشغل بشكل طبيعي. مثال: ألوهل تسمعني؟ يقول المرسل هذه العبارة من أجل إثارة انتباه المرسل إليه، والتأكد من أن انتباهه لم ينقطع.

4 – الوظيفة الميتا ليسانية (Fonction métalinguistique): تستخدم هذه الوظيفة عندما يشعر المتخاطبان أنهما بحاجة إلى التأكد من الاستعمال الصحيح للسنن الذي يوظفان رموزها في العملية التخاطبية، فيكون الخطاب مركزا على السنن حينما يؤدي وظيفة ميتا ليسانية (وظيفة الشرح). يتساءل المستمع: إني لا أفهم ما الذي تريد قوله، أو هلا وضحت ما تقول، وتكون عادة هذه السلاسل الكلامية مسبقة بأسئلة من قبيل: أفهم، هل واضح ما أقول، ويمكن تصنيف هذه الأنماط من الخطابات ضمن الكلام عن الكلام نفسه، أو القول عن القول، أو اللغة عن اللغة أو الخطاب عن الخطاب، وهو ما يسمى ميتا لغة (Méta langage).

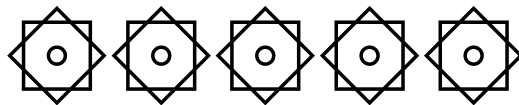
5 – الوظيفة المرجعية (Fonction référentielle): ترتبط هذه الوظيفة بعامل السياق، وقد ترجمت بمصطلحات كثيرة إلى جانب "المرجعية"، فقد عرفت بالوظيفة الإيحائية (Fonction démotive)، والمعرفية (Fonction cognitive)، وتتلون كل رسالة بهذه الوظيفة حينما يكون محتواها مؤيدا للأخبار الواردة فيها،

باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات تتحدث عنها، وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة كما يقول "عبد السلام المسدي": «فاللغة في رسالة تهيمن عليها الوظيفة المرجعية ينبغي أن تتجه إلى تفسير ذاتها من حيث كونها رموزا معبرة عن أشياء».

6 – الوظيفة الشعرية (الجمالية): ترتبط هذه الوظيفة بعامل الرسالة، وتطغى على الخطاب حينما تتجه العناية إلى مختلف الجوانب المتعلقة بالرسالة (الخطاب المرسل من الباث إلى المتلقي شكلا ومضمونا)، وهي تتمثل في مجموع الخصائص النوعية المميزة للخطاب.



الوظائف اللغوية في علاقاتها بالعوامل التواصلية



المحاضرة العاشرة: مستويات التحليل اللساني
أولاً: المستوى الصوتي

سوف يتمّ تنزيل هذه المحاضرة وبقية المحاضرات في الأيام العديدة القادمة بحول الله

والله وليّ التوفيق.

المراجع:



1. أحمد بلحوت: محاضرة في اللسانيات العامة
2. أحمد محمد قدّور: مبادئ اللسانيات
3. أحمد مومن: اللسانيات: النشأة والتطور
4. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها
5. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة
6. جورج موان: تاريخ اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، تر: بدر الدين بلقاسم
7. حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة
8. حنفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية
9. خالد هويدي ونعمة دهش الطائي: محاضرات في اللسانيات
10. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات
11. رمضان عبد التّواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي
12. روبر مارتن: مدخل لفهم اللسانيات
13. سمير شريف استيتية: اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج
14. شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة
15. عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية
16. عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات
17. عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات
18. عبد العزيز حليلي: اللسانيات العامة واللسانيات العربية
19. عبد القادر القاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية
20. فردينا ندي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز
21. ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر
22. محمد حسن عبد العزيز: علم اللغة الحديث
23. محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات
24. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي
25. محمود السعران: مدخل إلى علم اللغة
26. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة
27. مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية
28. مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة: تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفهوما
29. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)
30. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)
31. نادية رمضان النّجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين
32. نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومنهج البحث اللغوي